مظاهر الحضارة العربية الاسلامية في شرقي أفريقيا

424-656هـ /1129-1258م

إعداد: أ.د محمود عبد المجيد مجبر*

د. عبد الرزاق محمد علي الجدي*

تاريخ الاستلام 2026/1/13- تاريخ القبول2026/2/10م تاريخ النشر 2026/3/16

ملخص البحث :

هذا البحث يتحدث عن المظاهر الحضارية العربية الاسلامية التي برزت في شرقي أفريقيا ، وقد أدى استقرار العرب المسلمين في الساحل الشرقي لأفريقيا إلى نشر الثقافة العربية الاسلامية ، وظهور مجتمع جديد يقوم على التقاليد الاسلامية والعادات الأفريقية المحلية التي هذ بها الإسلام و أسبغ عليها معاييره ومبادئه ، و أوضح هذا البحث مراكز الدعوة الاسلامية التي مثلت أهم هذه المظاهر ، وهي المساجد و الزوايا و الرباطات التي اتخذها الدعاة للوعظ والارشاد ، وما ليثت بمرور الزمن أصبحت أماكن فكرية وعلمية يأتي إليها العلماء والفقهاء والمدرسون ويعقدون فيها حلقاتهم في مختلف أوجه المعرفة ، كما يتضمن هذا البحث اشارات مفيدة إلى الجهود نحو القضاء على تجارة الرقيق في شرقي أفريقيا ، وتكريس التمسك بالعادات والتقاليد و الأعراف الاسلامية هناك ، كما تناول هذا البحث

* استاذ مشارك- قسم التاريخ- كلية الأداب الخمس- جامعة المرقب mamojbar@gmail.com

* استاذ مساعدقسم التاريخ- كلية التربية القره بولي- جامعة المرقب razakdo86@gmail.com

ظهـــور أنظمـــة جديـــدة للحكـــم والإدارة تمثلـــت فـــي بعـــض الـــدول والممالـــك والامارات الاسلامية .

الكلمات المفتاحية: الحضارة– شرق افريقيا–المساجد– المتاحف

Manifestations of Arab-Islamic Civilization in East Africa

(424-656 AH / 1129-1258 AD)

Dr. Mahmoud Abdelmajid Mojabber- Dr. Abdulrazzaq Mohammed Ali Al-Jadi

received January/ 13/2026-accepted February/10/2026 –published march/16/2026

Abstract

This research discusses the Arab-Islamic cultural manifestations that emerged in East Africa. The settlement of Arab Muslims on the East African coast led to the spread of Arab-Islamic culture and the emergence of a new society based on Islamic traditions and local African customs that Islam refined and imbued with its standards and principles. This research clarifies the centers of Islamic propagation that represented the most important of these manifestations, namely the mosques, zawiyas, and ribats that preachers used for preaching and guidance. Over time, these became intellectual and scientific places where scholars, jurists, and teachers would come and hold their circles in various aspects of knowledge. This research also includes useful references to the efforts towards eliminating the slave trade in East Africa and consolidating adherence to Islamic customs,

traditions, and norms there. This research also addresses the emergence of new systems of governance and administration represented in some Islamic states, kingdoms, and emirates .

Key words Civilization–east African–mosques–museums

المقدمة :-

أدى استقرار العرب المسلمين في الساحل الشرقي لأفريقيا إلى نشر عقيدة الإسلام والثقافة العربية بطواعية ودون إكراه، ولم تذكر المصادر أية حوادث تشير إلى اضطهاد الأفارقة بسبب العقيدة الدينية، كما لم تشهد هذه المنطقة أي مظهر من مظاهر العنف والتسلط والإرغام، لذلك فإن العلاقات بين العرب والأفارقة قامت على أساس الفهم الصحيح، مما نتج عنها تمازج وتعايش خلف تأثيرات ثقافية واجتماعية في إطار الإسلام ومبادئه. ونظراً لقرب الساحل الشرقي لأفريقيا من جنوب الجزيرة العربية وحضرموت وعمان والحجاز فقد أعان نخبة من العلماء، سواء كانوا من العناصر العربية الوافدة أو من العناصر الإفريقية المستعربة المسلمة ممن درسوا في الحجاز ومصر وحضرموت واليمن، على ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر التعريب، الأمر الذي أتاح للأفارقة حفظ القرآن الكريم والإلمام بالشريعة.

ترتب على انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ظهور مجتمع جديد يقوم على التقاليد الإسلامية والعادات الإفريقية المحلية حيث تمسك الأفارقة بما يدعو إليه الإسلام من الأمانة والصدق والعدل وجميع

المعـــايير والمبـــادئ التـــي تضـــمنها الإســـلام فضـــلاً عـــن أدائهـــم للفـــرائض والشـــعائر الإســـلامية ومنهـــا فريضـــة الحـــج التـــي وفـــرت فرصـــة اللقـــاء بيـــنهم وبـــين أخـــوتهم مـــن المســـلمين مـــن أقطـــار وبلـــدان أخـــرى ممـــا يرســـخ العقيـــدة لـــديهم، حتـــى لقـــد أشـــار المستشـــرق "ترمنجهـــام" إلـــى أن هنـــاك شـــعوراً بـــأن الإســـلام أصـــبح ديانـــة الأفارقـــة جميعـــاً [1]، كمـــا أن التـــأثير الـــديني فـــي حيـــاة ســـكان الســـاحل الشـــرقي لأفريقيـــا كـــان واضـــح المعـــالم حتـــى إنـــه أمتـــد إلـــى تـــراثهم الشـــعبي وأدبهـــم الســـواحيلي وأصـــبحت الأشـــعار والقصـــص المتداولـــة إحـــدى الوســـائل التـــي تحـــث عامـــة المســـلمين علـــى التمســـك بالواجبـــات الأساســـية لعقيـــدتهم الإســـلامية، كمـــا تغيـــرت المفـــاهيم الوثنيـــة التـــي كانـــت ســـائدة فـــي منـــاطق الســـاحل الأفريقـــي الشـــرقي فبـــدلاً مـــن خضـــوع الفـــرد للـــوثن بتقديمـــه القـــرابين والنـــذور واســـتخدام ضـــروب مـــن الســـحر والشـــعوذة فـــي معتقداتـــه، أصـــبح هـــذا الفـــرد فـــي إطـــار الإســـلام متمســـكاً بـــروح العقيـــدة الإســـلامية وملتزمـــاً بمـــا جـــاءت بـــه مـــن قـــيم وأفكـــار فاتجـــه النـــاس إلـــى قـــراءة القـــرآن وحفظـــه والإلمـــام بمبـــادئ الشـــريعة الإسلامية واللغة العربية.

مشـــكلة البحـــث :- تتمثـــل مشـــكلة البحـــث فـــي الإجابـــة عـــن الســـؤال الرئيسي الاتي :-

الـــى أي مـــدى أســـهمت العقيـــدة الإســـلامية و الثقافـــة العربيـــة فـــي تشـــكيل الحياة الثقافية و الاجتماعية و السياسية في شرقي أفريقيا .

و يتكون عنه الأسئلة الاتية :-

- ما مدى تأثر الثقافة المحلية بالثقافة العربية الإسلامية ؟

(1) ترمنجهام سبنسر، الإسلام في شرقي أفريقيا، ترجمة عاطف النواوى مراجعة ، فؤاد محمد شبل (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية)، 1973 ، ص 301.

- ما الدور الذي قامت المؤسسات الثقافية في نشر الإسلام ؟
- كيف انعكس الإسلام على النظام التعليمي و القضائي ؟
- ما الدور الذي قام به أتباع الطرق الصوفية لنشر العقيدة الإسلامية ؟

أهمية البحث :- إبراز دور العرب المسلمين في الساحل الشرقي لأفريقيا في استقرار المنطقة و نشر عقيدة الإسلام و الثقافة العربية بطواعية ودون اكراه .

- بيان أثر الإسلام في القوانين و النظم السياسية و الاجتماعية .
- توضيح طبيعة التفاعل بينم الإسلام و العادات و التقاليد المحلية .
- نبذ الإسلام تجارة الرق و استطاع القضاء عليها تدريجيا دون أن يسئ الي نظام مجتمع شرقي أفريقيا .

أهمية البحث :- بيان دور المؤسسات و المراكز الثقافية الإسلامية في نشر عقيدة الإسلام .

- توضيح دور العلماء و الفقهاء و أصحاب الطرق الصوفية في مجتمع شرقي أفريقيا.
- دراسة العلاقات الثقافية و التجارية بين ساحل شرقي أفريقيا و العالم الإسلامي .
- تحليل أثر الإسلام و ثقافة العرب في النظم التعليمية و القضائية .

منهج البحث :- المنهج التاريخي :- تتبع نشأة الإسلام في ساحل شرقي أفريقيا ، و دراسة تطور الحياة الثقافية عبر العصور ، و تحليل الاحداث في سياقها الزمني .

1- المنهج الوصفي التحليلي :- وصف مظاهر الحضارة العربية الإسلامية (و المساجد - الزوايا - و الرباطات - الطرق الصوفية – القضاء) و تحليل تأثيرها في المجتمع و النظام السياسي .

2- المنهج المقارن :- مقارنة مستوى الحياة الثقافية و العلمية في مجتمع شرقي أفريقيا، بجيرانها من العرب المسلمين ، و مقارنة القوانين التي كانت سائدة في المجتمع ، و محاولة تعديلها بحيث تتناسب مع الشريعة الإسلامية .

مصادر البحث :-

1- مصادر أولية :- الروايات التاريخية المحلية ، و الكتب منها كتاب (القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الأنشاء) و الوثائق السلطانية (الاحكام ، المراسلات) .

2- مصادر ثانوية :- الدراسات الحديثة حول مظاهر الحضارة الإسلامية في شرقي أفريقيا ، و الأبحاث حول أنتشار الثقافة العربية الإسلامية في شرقي أفريقيا ككتاب المؤرخ (ترمنجهام سبنسر) تناول في كتابه التحولات التاريخية التي مرت بها الثقافة العربية الإسلامية و دور العرب في نشر الإسلام في المنطقة .

التمهيد :-

لجدير بالذكر أن مناطق ساحل أفريقية الشرقية قد شهدت ازدهاراً وإنتشاراً للإسلام وذلك بصورة جماعية حين أسهم العلماء وشيوخ الطرق الصوفية وأدوا دوراً بارزاً في هذا المجال، وكان لجهودهم الفردية والجماعية والالتفاف حولهم أثر في نقل الاتجاهات المذهبية إلى المجتمعات الإفريقية التي احتكوا بها، ولعل من أوسع هذه المذاهب انتشاراً المذهب الشافعي إذا ما قورن بالمذهب الحنبلي، أما الحنفية فكان أكثرهم من الهنود، كما زاد عدد أتباع الطرق الصوفية وعلى الأخص القادرية والتيجانية والشاذلية ولا سيما بين المشتغلين بالنشاط التجاري.

ولا بد أن اتباع هذه الطرق من التجار والمعلمين الدعاة كان لهم كبير الأثر في تاريخ البلاد الفكري الحضاري، فقد اختلطوا مع السكان المحليين وتصاهروا معهم كما أبدوا تسامحاً مع المسيحيين والمعتقدات الأخرى. وقد انتهجوا وسائلهم الخاصة في عملية نشر الإسلام بصورة سلمية وإقناعية، فأسسوا المساجد والمدارس التي كان يتردد عليها الناس كما نشطوا في شراء الرقيق وعتقهم وإعادتهم إلى أوطانهم وبلدانهم التي جلبوا منها ودعوا إلى نبذ التفرقة العنصرية والدعوة إلى المثل العليا.[1]

المبحث الأول:- (مراكز الدعوة الإسلامية) إن مراكز الدعوة الإسلامية التي كان يتخذها الدعاة أماكن تتبعث منها الدعوة إلى الإسلام هي المسجد والزاوية والرباط :

(1) ترمنجهام سبنسر، المصدر السابق، ص 37.

1. **المساجد :**

وقد اتخذه الدعاة أماكن للوعظ والإرشاد ومنتدى للاستفسار عن كثير من المسائل الدينية وإيضاحها على أيديهم فضلاً عن أن المسجد كان مكاناً للعبادة وإقامة الشعائر على أيدي الدعاة والمعلمين، ومن أهم المساجد العتيقة، في جنوب جزيرة زنجبار، ويقال أنه شيد في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي [1] كما خصص مسجدان للنساء بجزيرة زنجبار. أما في المدن الشيرازية القديمة مثل سيبو فيسمح للنساء بالعبادة بحجبهن عن الرجال بستار يقسم المسجد في آخره أو وسطه [2] وكان البناء قليل الزينة كما كان بعضها يدخل تحت إدارة الأوقاف، ومرتبات أئمتها وإصلاحاتها ونفقاتها تدفع من حساب الوقف، أما غالبية المساجد الصغرى فكانت تقع على عاتق الحي أو المقاطعة وكان العاملون بالمسجد لا يزيد عددهم على اثنين "الإمام" وهو المسئول عن الواجبات الدينية والمؤذن" الذي عليه إلى جانب ذلك بعض المتطلبات الأخرى مثل حفظ المسجد وأثاثه وتنظيفه،

وقد كان بعض العمال يلحقون بالمساجد الكبرى للقيام بتلك الواجبات تحت إشراف المؤذن، وموظفو المساجد العادية هم موظفون شرفيون، ولكن طلب الالتحاق لتلك الوظائف كان مرغوباً.

2. **الزوايا :** وتعد الزوايا مكاناً للتعبد وحلقات الدراسة في العلوم الدينية وما يتصل بالمعرفة والعلوم النقلية والعقلية فضلاً

(1) زكى عبد الرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا، ط 1 (القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية)، 1965، ص128.

(2) ترمنجهام سبنسر، المصدر السابق، ص 38.

عن أنها مقر لإحدى الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية والشاذلية لممارسة شعائرهم . [1]

3. <u>الرباط :</u>

لا يقل أهمية عن المساجد في كونه مكاناً تشع منه الدعوة إلى الإسلام ويمتاز الرباط [*] بطابعه العسكري إضافة إلى وظائفه الدينية من العبادة وتلاوة القرآن والتفقه الديني . [6]

إن العامل الأهم الذي ساعد في إنتشار الإسلام في شرقي أفريقيا يعود في الحقيقة إلى الدين الإسلامي نفسه فهو ذو نظام اجتماعي راق يدعو إلى المساواة بين الناس ولا يقيم وزناً لفوارق اللون أو الطبقة، وإنما الفارق من خلال ما يفعله العبد من اعمال صالحة، لذلك فإن الدين الإسلامي كثيراً ما يوصف بأنه أكثر الأديان تسامحاً، ومنذ اكتمال مرحلة التعريب وسيادة الدين الإسلامي في مناطق شرقي أفريقيا في القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي، بدأت القبائل العربية تتوغل نحو الشرق، ولم تقف عائقاً دون تواصل الروابط والصلات المتعددة فقد كانت طرق ما وراء الصحراء ومسالكها ومنافذها من العوامل الهامة التي ساعدت في تدفق المؤثرات العربية الإسلامية إلى مناطق شرقي أفريقيا، وبدت رقعة الإسلام في حالة انتشار مستمر، ونجم عن هذا المد القادم من

---

[1] ترمنجهام سبنسر، المصدر السابق، ص 158.

[*] الرباط – أطلق علي الذي برابط فيه الجنود المسلمين للجهاد في سبيل الله ، ويلازمرنه متر صدين العدو، ومستعدين للغزو ، ثم صار يطلق على المكان الذي يزايط فيه اتصر فيه للعبادة و الانتقطاع إلى الله تعالي .

[6] حسن ، إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام و العروبة و فيما يلي الصحراء الكبرى غربي القارة الافريقية و شرقها ، ط2 (القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، 1956) ، ص38 .

الشمال قيام ممالك أفريقية إسلامية بلغت تقدماً حضارياً ملحوظاً نتيجة إعتناقهم الإسلام .[1]

المبحث الثاني :- المؤثرات الحضارية في شرقي أفريقيا :

لقد كان مسار المؤثرات الحضارية في أفريقيا قد تركز في اتجاه يبدأ من الشمال إلى الجنوب وعبر الصحراء إلى بلاد السودان، كما ظهر إزدهار مراكز حضارية في الواحات الكثيرة في الصحراء الكبرى، غير أنه بتحول الشمال الأفريقي للحكم العربي قد فتحت مسارات جديدة لنشر الحضارة تبدأ من الغرب إلى الشرق أي من أقاصي المغرب إلى بلاد السودان وباتجاه الشرق دائماً .

وقد خضعت المنطقة السودانية لمؤثرات بشرية وثقافية واقتصادية واحدة وقلما وجدت مؤثرات بشرية تخطت حدود السودان ووادي النيل متجهة نحو الغرب لتفصل فعلها البشري والحضاري، وكانت مراكزها الحضارية هي التي رفعت راية العروبة والإسلام وخصوصاً في شعوب السودان التي تبنت الدعوة الإسلامية وأصبح لها الدور البارز في تاريخ الإسلام في القارة الأفريقية .[2]

المبحث الثالث :- موقف الإسلام من تجارة الرق :

كانت تجارة الرق شائعة في شرقي افريقيا منذ وقت طويل ، وكانت هذه التجارة التي تنافي مع معايير الإنسانية و تحث على الاستغلال

(1) قاسم جمال زكريا : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ط 1، (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، 1975م .

(2) شلبي، أحمد ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج 6، ط1 (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية)،1980، ص ص 102-103.

البشع من الانسان لأخيه الانسان من المصادر الاقتصادية الهامة في حياة المجتمعات الأفريقية قبل اتصالهم بالعرب . [1]

و يلاحظ أن زعما القبائل الأفريقية ساعدوا في جلب أفراد القبائل المهزومة لبيعهم في المراكز التجارية لساحل شرقي افريقيا و التي كان يفد إليها إلى جانب العرب الهنود و الفرس والأوربيون الذين شاركوا بصورة واضحة في ازدهار هذا النوع من التجارة، وبظهور الإسلام وإزدياد إتصال العناصر العربية المسلمة بساحل شرقي أفريقيا وما تبع ذلك من نشر للإسلام وثقافته العربية، حدث تغيير واضح لمفهوم تجارة الرق عند العرب والمسلمين، والمعروف أن الإسلام لم يقر الرق في صورته المطلقة الدائمة، وإنما أقره في صورة تؤدي إلى القضاء عليه تدريجياً دون أن يحدث في ذلك أثر يسئ إلى نظام المجتمع، بل دون أن يشعر أحد.

المبحث الرابع :- التقاليد والعادات في مجتمع شرقي افريقيا

لقد ترك إنسياب الإسلام إلى شرقي أفريقيا تأثيراً حضارياً بعد أن قامت هناك دول ذات شأن تمثل في توحيد المشاعر والمصير بينها وبين جيرانها من العرب المسلمين ويمكن توضيح ذلك في النواحي التالية:

<u>أولاً : نظام الحكم:</u> لقد مر شرقي أفريقيا بمرحلة انتقال حدث بعدها التقاء الحضارة الإسلامية بالتقاليد المحلية وحدث التوافق بين ما هو وافد وما هو محلي، وتم القضاء على ما يخالف الإسلام من التقاليد المحلية واختلطت قواعد الإسلام بالتقاليد الأخرى فعدلتها حتى تتمشى

[1] دوناد ، وايديز ، تاريخ أفريقيا جنوب صحراء ،ترجمة على أحمد فخري ، شوقي عطا الله الجمل القاهرة ، مؤسس سجل العرب) ، 1971 ، ج1 ،ص46 .

مع الفكر الإسلامي، وأعطى الإسلام في تشريعاته هذه الفرصة من الوفاق والإمتزاج الحضاري وترتب على ذلك ظهور تقاليد أفريقيا الإسلامية في شكلها وطابعها، وروحها [1]، وكتب عن ذلك عدة مؤرخين، عن نظام الحكم وبعض أوجه الحياة الاجتماعية التي اكتسبت الصيغة الإسلامية وهذا شأن الإسلام عندما يحل بأي بلد فهو يترك من النظام والتقاليد مالا يتنافى مع ممارسات الإسلام أو روحه، وقد كان انتشار الحضارة الإسلامية في شرقي أفريقيا سهلاً وميسوراً فقدم المسلمون الدين الطالبيه وعلموا الناس شعائر هذا الدين ونظمه فقد عرف الأفريقيون من الحكم قاعدة الشورى[2] ونظام البيعة الذي اشتهر عند المسلمين وعرف الأفارقة من الاقتصاد حق الفقير في مال الغني ونظام بيت المال ورد الأمانات إلى أهلها، وعرفوا من الأداب الدينية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتزموا بترك المحرمات وأداء الصلوات، ولقد تمثلت في حياة الملوك والرعية مظاهر إسلامية صرفة وعربية خالصة وسيادة المتبع المذهب مالك الذي يوصف بالتزمت والشدة والتمسك بالدين وتمسك الفقهاء بالتقاليد وعزوفهم عن مصاحبة السلطان وتولي الوظائف، وكذلك تغلغلهم في صميم الحياة وتمتعهم بالزعامة الدينية الشعبية، ولقد قدر السلاطين الفقهاء وأحترموهم وزاروهم في بيوتهم واستفتوهم واتمروا بأمرهم ولقد عرف أن من يلتجئ إلى المسجد أو بيت الفقيه أمن من العقاب ولن

(1) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج 5-8، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)، 1963.

(2)الأحمد ، أمحمد مصباح تاريخ العلاقات العربية الافريقية ، ط 1 ، (بيروت ، دار الملتقي للطباعة والنشر ، 2001، ص 211-212.

يستطيع أحد أن ينالـه بسوء [1] وهذا يدل على أحترام الإسلام، ومن الجدير بالملاحظة أن الشريعة الإسلامية قد تغلغلت شيئاً فشيئاً في المجتمع القبلي بفضل الأحكام الشرعية التي كان يصدرها رجال القضاء الإسلامي في تلك البلاد .

كما انتشرت مع الإسلام بشرقي أفريقيا أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف الشئون الاجتماعية والاقتصادية .

(التقاليد والعادات الدينية في ساحل أفريقيا الشرقي) :

أ- **الاحتفال بشهر رمضان :** يشكل الاحتفال بشهر رمضان صورة عميقة في التمسك بالشعائر الإسلامية في الساحل الشرقي الأفريقي، إذ يأخذ الاحتفال بشهر رمضان طابعاً إسلامياً من حيث انتظار رؤية الهلال ، وامتلاء المساجد بالمصلين، حيث تقام الحلقات الدراسية لتلاوة آيات القرآن الكريم وشرحها ثم تؤدى صلاة التراويح و بعد ذلك تبدأ الزيارات الأسرية ومن العادات المكتسبة أن يجتمع أهل الحي الواحد أو كل عدة أسر في مكان مخصص لتناول الإفطار. ويكثر المسلمون من تناول شراب "المدافا" المصنوع من جوز الهند في شهر رمضان . [2]

ب- **الاحتفالات الدينية الخاصة :** يقوم سكان ساحل شرقي أفريقيا بالمناسبات الدينية في كل يوم خميس، حيث تجتمع الجدة أو أحد أفراد الأسرة من كبار السن مع الأطفال ويبدأون بقراءة القرآن الكريم التي تتخللها المدائح والأناشيد الدينية في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويتولى الإنشاد أكبر الأطفال سناً، ويردد بقية الأطفال ما

(1) المرجع نفسه، ص 211-212.

(2) حسن حسن إبراهيم : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ،ط2 ، (القاهرة مكتبة النهضة المصرية)، 1964م ، ص 38.

يقوله المنشد وتقوم الجدة بالتصحيح في حالة الخطأ والإشراف والمتابعة، والهدف من المناسبة الدينية هو تعليم الأطفال التعاليم الإسلامية، وكذلك غرس حب الرسول في قلوبهم وتعويدهم على قراءة القرآن الكريم . [1]

المبحث الخامس :- التأثير العربي الإسلامي في العادات والتقاليد الأفريقية:

المعروف أن التأثير العربي الإسلامي قد هذب عادات المجتمعات الأفريقية وتقاليدهم الدينية في ساحل أفريقيا الشرقي وكانت عدة معتقدات دينية وثنية سائدة في تلك البقاع وكان الناس يعتقدون بالجن والأرواح الشريرة التي تسكن أجساد البشر وتسبب الأمراض ويستخدمون علاجاً لها وذلك لحمايتهم، وعلى الرغم من أن الإسلام قد حارب البدع والشعوذة، فإن كثيراً من المعتقدات الأفريقية البالية ظلت تمارس في الأوساط الشعبية ومن ذلك :-

الحرز : وهو تعليق تميمة [*] للطفل الصغير أو تلطيخ وجهه وملابسه بالفحم لتفادي نظرة الحاسد له .

الزار : ويقام الزار بحفل خاص للرجال أو النساء ويستخدم فيه البخور ويعنون فيه على دقات الدفوف أغاني غير مفهومة وأكثرها طلاسم وأسماء سحرية لاعتقادهم أن ذلك سيطرد الأرواح الشريرة من جسد المريض، ولكن المؤثرات العربية الإسلامية امتزجت بمؤثرات أفريقية ولجأ بعض المسلمين إلى الاستعانة بالقرآن الكريم في معالجة

(1) الغيث، حمامة خلقان، التأثيرات العمانية في زنجبار، رسالة ماجستير غير منشورة في الدراسات ، الأفريقية، (القاهرة، كلية الآداب ،معهد الدراسات الأفريقية)، 1988، ص 170.

(*) النميمة خرزة أو كتابة لبعض الطلاسم وذلك لطرد الأرواح الشريرة وأيضاً للحسد، هذا على الإسلام اما بعد انتشار الإسلام فهو كتابة البعض الآيات القرآنية وتعليقها بقطعة من الجلد وتعليقها على صدر الطفل .

أمراضهم النفسية وعادة ما تتلى الآيات القرآنية الكريمة مثل آية الكرسي" و "المعوذتين على رأس المريض وذلك طلباً للشفاء أو كتابة بعض من الآيات القرآنية الكريمة على أبواب المساكن حماية من الحسد ومن الشرور . [15]

❖ **عادات وتقاليد مجتمع شرقي أفريقيا :** أصبح حب تربية المواشي هاجساً نفسياً يسيطر على كل سكان شرقي أفريقيا، فكلهم يترفعون عن الزراعة، وكذلك محترفو الحدادة، ولكنهم يعدون الصيد غالباً هواية يمارسونها والعناية بالأبقار مهمة الرجال وحدهم، ومالك القطيع يعرف كل واحد وواحدة فيه، وكثيراً ما يقضى ساعات في تسويته أو لينظم له عقداً أو ليحتفي بميزاته في أغنية مديح، وسكان شرقي أفريقيا يشربون الحليب خالصاً أو مشوياً ببول القطعان وأحياناً يشربون الدم النازف من جرح أحدث في عنق الحيوان بإراشة سهم عن مسافة قصيرة، ولكنهم لا يقتلون البهائم إلا في حالة تقديم أضاح، لأن مجرد التفكير بقتل حيوان لأكل لحمه أمر مرفوض فهو ارتكاب جرم خطير [1] أما السمن فتعده النساء ولا يستعمل إلا كمادة للتطرية، وأما اللباس فأكثر الرجال يفضلون العري، والنساء يلبسن تنانير من جلد مطرزة بزمردات ويُضفن إليها، استزادة للزينة، أساور للزنود ودمالج للمعاصم وأقراطاً للأذن مصنوعة من مزيج معدني يغلب عليه النحاس، وكذلك يغلب عليهن التحلي بعقود تتدلى إلى

(15) الغيث ، حمامة خلفان ، المرجع السابق ، ص170 .

(16) بولم، دنيز ، الحضارات الأفريقية، ترجمة نسيم نصر، ط2 (بيروت، دار منشورات عويدات)، 1978، ص ص 122 –123.

الصدور، ومن حيث المأوى فمساكنهم ذات جدران من الخص وسقوف من الهشيم، وتغلب على شكلها الاستدارة [1]

وعندما مارسوا الزراعة، بعد التأثيرات التي تركها العرب المسلمون فيهم، صاروا يتبعون الأساليب الزراعية المعروفة في سائر البلاد الأفريقية، فالرجال يمهدون التربة، والنساء تعشب الأرض وتزرعها، ولكن الحصاد مشترك، أما الحبوب فتحفظ في سلال ضخمة تحزمها جدائل نباتية أو سرائد من معدن أو في أبنية صغيرة ترتكز على أعمدة، والمساكن تقوم في وسط الأراضي الزراعية .

وفي كل هذه المنطقة تعتبر الماشية ملكاً للرؤساء والماعز ملكاً للمزارعين، ومن هذه الممتلكات يقدم الزوج مهراً لأهل الزوجة لكي يصبح القرآن قانونياً والأولاد شرعيين، وهكذا يصبح تعدد الزوجات شارة غنى، فعددهن يحدده عدد الحيوانات التي يستطيع الزوج تقديمها، وعلى العكس فإن قلة الموارد في حالات قصوى تجبر أخوين على المشاركة في زوجة واحدة، ولذا فإن ولادة الابنة تستقبل بصورة أفضل من استقبال الابن ، لأن الابنة بالنسبة للأب هي زيادة على قطعانه ورئيس القبيلة لا يراقب ما يجرى على أرضه ولكنه شديد التدقيق في إحصاء قطعانه لمعرفة الزيادة والنقصان . [2]

وملك هذه البلاد سلطان مطلق، يليه في السلطة أقرباؤه فمنهم الوزراء وحكام الولايات، وبفقدان نظام الوراثة في الحكم تستبد الفوضى بالبلاد حتى يلي الملك الجديد، أما أسباب الفوضى فهكذا غالباً، عند موت الملك ينشأ الخلاف ثم القتال بين أبنائه، فمن يقتل منهم يقتل أو

(17) المصدر نفسه ، صص 124– 125.

(2)المصدر نفسه ، ص ص 126–127.

يحجر عليه في مكان ما، وأما الملكة التي هي أخت الملك بالدم، أي أخته لأبيه، فإنها تستمر موضع احترام عميق، وكذلك الملكة الأم التي تبقي دائماً إلى جانب الملكة فإنها أيضاً تحاط باحترام عظيم ولكل منهما مقر خاص وصلاحيات هامة تمارسها، ولا سيما في الشئون الإدارية ويحيطون الملك بتقاليد تمنع عنه الاتصال بالرجال البسطاء لأن في ذلك خطراً عليه، وفي نطاق المقام الملكي تبقى نار روث البقر مشتعلة دون انقطاع، فهي نار حياة الملك، والمحارب الذي يمسح برمادها يستعيد قواه، وعند وفاة الملك تطفأ النار القديمة، لتوزع على مرءوسيه من الحكام شهب من نار جديدة أشعلت بالاحتكاك وقبول النار الجديدة أعتراف بسيادة مرسلها . [1]

المبحث السادس :- تأثر الممالك العقلية الافريقية بالنظم العربية الإسلامية :

ومن أبرز هذه الممالك مملكة "المونوموتابا" التي كانت تعيش على نقل ما لديها من ذهب في مناطق جنوب شرقي أفريقيا إلى العرب وقوافلهم التجارية وتقديم ما لديها من منتجات أفريقية أهمها العاج وسن الفيل وريش النعام، فضلاً عن الذهب، بينما كان العرب ينقلون تجارتهم المتمثلة في الملابس والمنسوجات والأسلحة والسلع الحضارية والصناعية المختلفة، لا سيما من خلال عصر المماليك في مصر حيث ظهرت التجارة المثلثة بين مصر وشرقي أفريقيا والهند. وهي التجارة التي ترتب عليها أن صارت كل الملابس تحمل اسم المصري لدى الأفارقة كما صارت الكلمة العربية "مثقال" تشير إلى العملة والمال في موزمبيق حتى اليوم، هذا من ناحية التجارة

(1) بولم، دنيز ، المصدر السابق، ص ص 128-129.

والمال في قلب القارة، أما الساحل الشرقي فقد صارت اللغة العربية في منزلة كبيرة حتى حكمت الحياة الثقافية في المنطقة، لا سيما في مدن: كلوة وممبسة وباتا وزنجبار فضلاً عن مقديشو وبراوة وغيرها، وقد شهدت هذه المدن وجود أسر عربية حاكمة ، تزاوجت مع الأفارقة حتى ظهر نتيجة لذلك العنصر السواحلي المتولد من زيجات عربية أفريقية وصارت لغته السواحيلية تضم كماً كبيراً من المفردات العربية، كما كانت علامة على الانصهار العربي الأفريقي وعلى عمق الصلات الاجتماعية بين الفريقين . [1]

المبحث السابع :- مساعي القضاء على الهوية العربية الإسلامية في شرقي أفريقيا : الحقيقة أن المساعي الاستعمارية للقضاء على الهوية العربية الإسلامية في أفريقيا تتكرر ليس فقط في أقطار غرب أفريقيا بل نراها أيضاً في شرق ووسط أفريقيا، ففي إطار جهود الدول الأوروبية، وخصوصاً في مطلع القرن العاشر الهجري، لغرض الاندماج القسري في كتل سكانية أريقت الدماء وأزهقت أرواح عشرات الألوف، وغالباً ما كانت الهوية العربية الإسلامية مستهدفة ابتداء من زنجبار إلى أوغندا ومن نيجيريا إلى تشاد ومن غانا إلى موريتانيا، إن المدخل الأساسي لتفهم الأصول التاريخية لهذه المشكلات وخاصة في شرقي أفريقيا هو تتبع انتشار الإسلام والعروبة في هذه الأجزاء والذي يمكن أن ترصد فيه سمتين مميزتين : الأولى : إن هذا الانتشار لم يخضع لتخطيط سلطة دولة إسلامية قوية سواء من الدول التي ظهرت في دواخل أفريقيا أو التي عاشت في الأجزاء المعربة منها الثانية : إن انتشار

(1) فليفل، السيد ، الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية عبر الصحراء الكبرى، بحث مقدم في ندوة العلاقات العربية الأفريقية، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية)، 1998، ص 75.

الإسلام والتعريب كان رهناً إلى حد بعيد ببعض الهجرات العربية التي لم يتعد تأثيرها في شرق ووسط أفريقيا للسواحل المطلة على البحر الأحمر أو المحيط الهندي [1] والنشاط التجار العرب في عمق أفريقيا حيث أحيا هؤلاء العرب التجارة وتبادلها فوصلوا إلى ما هو معروف اليوم بزيمبابوي، كما عمل العرب على استغلال بعض المناجم الأفريقية خاصة في إقليم زمبابو ان حيث عثر على مقابر عربية ترجع إلى القرن الأول الهجري، ورغم أن هؤلاء العرب من التجار قد أقاموا مدناً وممالك إلا أنها لم تعمر بعد القرن التاسع عشر الذي أمضته في صراع مرير ضد التدخل الأوروبي في محاولته للسيطرة على التجارة وعلى الدين واللغة ولم تكن هذه الجماعات الإسلامية العربية قد استطاعت أن تؤمن وجودها وحياتها بالعمل جنباً إلى جنب فيما بينها، كما أنها لم تكن تتسلح بما يجب لمواجهة القوى المعادية لها .

وعلى أية حال فقد حسمت الهجرات العربية والصلات الدائمة فيما بين الأراضي المطلة على البحر الأحمر هوية السواحل الشرقية لأفريقيا، فعلى الرغم من تدخل القوى المعادية لبلد مثل الصومال وجيبوتي التي تعايشت لغاتهما مع اللغة العربية على أساس أن العربية لغة الدين والعلم والثقافة والصومالية الأغراض الحياة العامة، وإن كان الإلمام بالعربية لا يقتصر على المتعلمين في المدارس وحدهم، فالتحدث بها وفهمها يشمل قطاعات كبيرة من المجتمع في الصومال وجيبوتي ويرجع الفضل في ذلك إلى أن أغلبية الأطفال يرسلون إلى الكتاب [2] الذي

(1) فليفل، السيد ، الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية عبر الصحراء الكبرى، ص 26.
(2) الضاوي، أحمد السيد، المرجع نفسه، ص 27.

يعرف بالدكس في الصومال والمعلمة في جيبوتي، حتى قبل سن المدرسة الابتدائية حيث يتعلمون الحروف ويحفظون سوراً من القرآن، وإلى الممارسات المحلية في إقامة التجمعات والاحتفالات الدينية التي يتغنى فيها بالأناشيد وكثير منها باللغة العربية . [1]

وتمثل المشكلة الإريترية أحد أوجه العمليات التاريخية والسياسية حيث أثر سكان هذا الإقليم الإسلام واللغة العربية في مجتمع مغاير لهم ولا عجب في أن يعد إخراج هذا الأقليم من حيز العروبة خروجاً وشذوذاً عن القاعدة التي حكمت الساحل الإفريقي للبحر الأحمر بدءاً من الصومال إلى مصر، خاصة إذا ما علمنا أن هذا الإقليم قد حكمته لسنوات طويلة الأسرة الفنجية التي ترجع أصولها إلى عرب وادي شمايل" الواقع في عمان والذين نزحوا إلى إريتريا حوالي منتصف القرن الأول الهجري.

وقد تقابلت هذه الأسرة الفنجية مع الأمويين الذين فروا إلى شرقي أفريقيا و أحتلوا جزيرة " لامو " الواقعة على الشاطئ جنوب حدود الصومال مع كينيا ويبدو أنهم تصاهروا معهم . [2]

الخاتمة

تبين المعطيات الواردة في هذا البحث أن قنوات الأتصال الحضاري بين العرب وسكان شرقي أفريقيا يقود إلى حقب تاريخية سبقت ظهور الأسلام ، لكن الأواصر والمؤثرات الحضارية تعمقب وتجذرت بعد انطلاقة الدعوة الاسلامية ، وبحكم مركز الثقل الحضاري الاسلامي

(1) يوسف، حسن أحمد، التعريب في الأقطار العربية ذات الأوضاع الخاصة، مجلة المستقبل العربي، العدد 39 مايو 1982، ص115.

(2) عبد الجليل ، الشاطر بصيلي ، تاريخ حضارات السودان الشرقي الأوسط ،(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1972 ، ص 19 .

فمن البديهي أن يكون سكان ساحل أفريقيا أكثر في أكثر انجذاباً له ، لاسيما أن المؤثرات الحضارية العربية الاسلامية لم تنحصر نطاقها في الاطار العقائدي بل اتسع مجالها ليشمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، كما تفاعلت العادات والتقاليد والقيم الافريقية مع الأعراف والمفاهيم الاسلامية القادمة إلى المنطقة ، وتوصل البحث إلى النتائج التالية :

1- آدي تفاعل العادات والقيم الافريقية مع الأعراف والمفاهيم الاسلامية ، التي انصهرت في يوثقه جديدة كانت السمة الاسلامية هي الغالية عليها ، وتمخض عن ذلك ولادة جيل أفريقي جديد أطلق عليه أسم " السواحلي " .
2- كان للمؤثرات العربية الاسلامية في الساحل الافريقي المطل على المحيط الهندي ، من قيم و أعراف اجتماعية ، وبحكم العقيدة الاسلامية ، تغلب فيها الطابع العربي الاسلامي بحكم التفوق الحضاري ، وهذه مسألة بديهية .
3- كما ترتب على أنتشار الاسلام في شرقي أفريقيا ظهور مجتمع جديد يقوم على التقاليد الاسلامية والعادات الافريقية المحلية .
4- آدي التواصل بين الأفارقة و العرب في شرقي أفريقيا إلى النمو الاقتصاد وزيادة حجم التبادل التجاري بين العرب وشرقي أفريقيا ، وخاصة من مناطق اليمن و الجزيرة العربية .

مصادر – ومراجع البحث :-

1- الأحمد ، أمحمد مصباح تاريخ العلاقات العربية الافريقية ، ط 1 ، (بيروت ، دار الملتقي للطباعة والنشر) 2001م .

2- بولم، دنيز ، الحضارات الأفريقية، ترجمة نسيم نصر، ط2 (بيروت، دار منشورات عويدات)، 1978 .

3- ترمنجهام سبنسر، الإسلام في شرقي أفريقيا، ترجمة عاطف النواوى مراجعة ، فؤاد محمد شبل (القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية)، 1973 .

4- حسن وحسن إبراهيم : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ،ط2 ، (القاهرة مكتبة النهضة المصرية)، 1964م .

5- حسن، إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى غربي القارة الأفريقية وشرقها، ط 2 (القاهرة ، معهد الدراسات العربية) 1957 .

6- دونالد، وايديز، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة على أحمد فخري، شوقي عطا الله الجمل القاهرة، مؤسسة سجل العرب)، 1971م .

7- زكى عبد الرحمن ، الإسلام والمسلمون في شرقي أفريقيا، ط 1 (القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية)، 1965.

8- شلبي، أحمد ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج 6، ط1 (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية)،1980.

9- عبد الجليل ، الشاطر بصيلي ، تاريخ حضارات السودان الشرقي الأوسط ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 1972 .

10- الغيث، حمامة خلقان، التأثيرات العمانية في زنجبار، رسالة ماجستير غير منشورة في الدراسات ، الأفريقية، (القاهرة، كلية الآداب ،معهد الدراسات الأفريقية)، 1988 .

11- فليفل، السيد ، الخلفية التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية عبر الصحراء الكبرى، بحث مقدم في ندوة العلاقات العربية الأفريقية، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية)، 1998 .

12- قاسم جمال زكريا : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ط 1، (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، 1975م .

13- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج 5-8، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر)، 1963.

14- يوسف، حسن أحمد، التعريب في الأقطار العربية ذات الأوضاع الخاصة، مجلة المستقبل العربي، العدد 39 مايو 1982 .